

منبر المحراب

الصبر مفتاح الخيرات :

الإمام الكاظم عليه السلام نموذجاً

السنة السادسة عشرة
العدد ٩٢٠ - ١ / صفر / ١٤٣٢ هـ
الموافق ١١ / كانون الثاني / ٢٠١١ م

محاور الموضوع الرئيسية :

- حقيقة الصبر.
- الصبر والإيمان.
- أقسام الصبر.

الهدف: بيان معنى الصبر والحث عليه والتميز بين الجميل منه وغيره.
تصدير الموضوع:
عن علي عليه السلام : «أيها الناس عليكم بالصبر، فإنه لا دين لمن لا صبر له».

حقيقة الصبر

عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبرائيل: «يا جبرائيل، فما تفسير الصبر؟ قال: صبر في السراء وفي الفاقة كما تصبر في الغناء، وفي البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه من البلاء»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «الصبر أن يحتمل الرجل ما ينوبه، ويكظم ما يفضبه»^(٢).

فمعنى الصبر بمقتضى الحديث الأول أن يشكر نعم

الله تعالى فيحفظها وينفقها في طاعته، ولا يبطر معيشته فيكسب ولا يسأل عن مصادر كسبه، ولا ينفق كيفما اتفق على ملذاته ومتاع الدنيا من دون مبالاة منه أفي الحلال أنفقها وفي الطاعة أم حرام وفي معصية! وقد ذكر صاحب إرشاد القلوب أن «حقيقة الصبر تجرّع الفصص عند المصائب، واحتمال الرزايا والبلايا. وغاية الصبر أن لا يفرّق بين النعمة والمحنة...»

والصبر: السكون عند البلاء مع تحمّل أثقال المحنة عند عظمها، قال:

صبرت ولم أطلع هواي على صبري
وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر
مخافة أن يشكو ضميري صابتي
إلى دمعتي سرّاً فتجري ولا أدري.^(٣)

وقد علمنا القرآن الكريم أن نستمدّ الصبر من الله عزّ وجلّ، وأن نتوكل عليه سبحانه قال تعالى حكايةً عن داود وجنوده: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾^(٤).
وقال على لسان آخرين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٥).

الصبر علامة الإيمان وجزؤه.
فعن علي عليه السلام : «الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهد.

والصبر منها على أربع شعب:
على الشوق، والشفقة، والزهد، والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات»^(٦).

وعنه عليه السلام : «أيها الناس عليكم بالصبر، فإنه لا دين لمن لا صبر له»^(٧).

وعن أبي عبد الله عليه السلام : «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك، إذا

(٤) (البقرة: ٢٥٠)

(٥) (الأعراف: ١٢٦).

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٣١.

(٧) المجلسي في بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٩٢.

ج ٤٦.

(٣) إرشاد القلوب للدليمي، ج ١، ص ٢٠١.

(١) معاني الأخبار للصدوق، ص ٢٦١، ج ١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للأمدّي، ج ١٨٤٧.



إليه يصعد الكلم الطيب

ذهب الصبر ذهب الإيمان^(١).

أقسام الصبر:

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك عندما حرّم الله عزّ وجلّ عليك^(٢).

الرسول الأعظم ﷺ:

«الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية»^(٣).

أي أقسام الصبر أجمل:

عن علي عليه السلام: «الصبر عن الشهوة عفة، وعن الغضب نجدة، وعن المعصية ورع»^(٤).

عنه عليه السلام: «الصبر: إمّا صبر على المصيبة، أو على الطاعة، أو عن المعصية؛ وهذا القسم الثالث أعلى درجة من القسمين الأولين»^(٥).

علامة الصبر:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

(١) الكافي، للكليني، ج ٢، ص ٨٧.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٩٠، ح ١١.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٩١، ح ١٥.

(٤) غرر الحكم للأمدى، ج ١٩٢٧.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣١٩.

رَاجِعُونَ^(٦).

فإن الصابر حقيقة هو الذي تجذّرت فيه حقيقة الإيمان فيعلم أن البلاء ملازم له، وأنه لا يعينه على هذا البلاء سوى التمسك بحبل الله والتوكل عليه، وأنه يعلم أنّ التوكل عليه سبحانه هو الشجرة التي تثبت عليها ثمار الصبر وبركاته.

وعن رسول الله ﷺ:

«علامة الصابر في ثلاث: أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربه تعالى؛ لأنه إذا كسل فقد ضيّع الحق، وإذا ضجر لم يؤدّ الشكر، وإذا شكّا من ربه عزّ وجلّ فقد عصاه»^(٧).

الصبر الجميل:

وهو أعظم الصبر في الدرجات، وأجزل ثواباً عند الله عزّ وجلّ، قال عزّ وجلّ مخاطباً نبيه ﷺ: «فاصبر صبراً جميلاً»^(٨).

وقال تعالى في قصة يوسف عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَجَاوِزُوا عَلَى فَمِصِّهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا

تَصِفُونَ^(٩).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: فصبر جميل: «بلا شكوى»^(١٠).

وعن أبيه الباقر عليه السلام لما سُئِلَ عن الصبر الجميل: «ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس»^(١١).

مصدق الصبر الجميل:

نجد فيما حلّ بالإمام الكاظم عليه السلام أعظم نماذج الصبر الجميل، فضلاً عما ورد في القرآن الكريم في حقّ الكثير من الأنبياء وأتباعهم.

فقد استعان عليه السلام على ظلم هارون وسجن السندي بن شاهك الأثيم بالانقطاع إلى الله تعالى والعبادة، فكان يصوم نهاره ويقوم ليله ونهاره، ولم يسأم من السجن، بل اعتبره تفرّغاً للعبادة ومن أعظم النعم. وكان يقول في دعائه وهو داخل السجن: «اللهم، إنك تعلم أنني كنت أسألك أن تفرغني للعبادة، اللهم وقد فعلت، فلك الحمد»^(١٢).

(٩) (يوسف: ١٨).

(١٠) البحار، ج ٧١، ص ٨٧، ح ٣٧.

(١١) الكافي، ج ٢، ص ٩٢، ح ٢٣.

(١٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٣٤٣.

(٦) (البقرة: ١٥٥، ١٥٦).

(٧) الصدوق في علل الشرائع، ص ٤٩٨، ح ١.

(٨) المعارج، ص ٥.